١٦٤٥
١٦٩٥٤

الخصائص الثقافية في حياة الرسول الأعظم (ﷺ)
محمد رسول الله وخاتم النبيين

إعداد الدكتورة عائشة عبدالله الغبشاوي

جمهورية السودان ـ الخرطوم سبتمبر ٢٠٠٦

تقديم:

الحمد لله رب العالمين، أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة ورضي لنا الاسلام ديناً.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله خاتم أنبيائه ورسله، الممدوح من ربه بالخُلق العظيم ﴿وانَّك لَعلى خُلقٍ عَظيمٍ﴾ (القلم: ٤)، والمشهود بأن القرآن قد تجلى على خصاله وفعاله فصار خُلقاً وسمتاً له، كما أنبأتنا بذلك السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ حيث قالت: (كان خُلقه القرآن)[١]. وعلى آله وصحابته الذين آزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل عليه أجمعين.

أما بعد:

فانَّه (ﷺ) مذكور في القرآن العظيم بأنه (ﷺ) دعوة أبيه ابراهيم وبشرى أخيه عيسى (عليهما السلام):

(أ) كما في دعوة أبيه ابراهيم (عليه السلام) من قوله تعالى ﴿ربَّنا وابعث فيهم رسُولاً منهُم يتلُو عليهم آياتكَ ويُعلمهم الكتابَ والحِكمة ويُزكيهم انَّك أنت العزيزُ الحكيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩).

(ب) وبشرى أخيه عيسى (عليه السلام) كما في قوله تعالى ﴿واذ قالَ عيسى ابنُ مريمَ يا بني

اسرائيلَ انِّي رسول الله اليكُم مُصدقاً لما بينَ يديَّ منَ التوراةِ ومُبشراً برسولٍ يأتي من بعدِي اسمهُ أحمد فلمَّا جاءهُم بالبيِّناتِ قالوا هذا سحرٌ مبينٌ﴾ (الصف: ٦).

والقرآن العظيم كله خطاب في المقام الأول للنبي (ﷺ).

والقرآن الكريم يوثق سيرته العطرة كأحسن ما يكون التوثيق، ويحكي مواقفه في تبليغ الدعوة وما لاقاه من صنوف الأذى صابراً محتسباً أجره على الله تعالى بالصبر المتصل والمصابرة الدائمة، شأنه في ذلك شأن أولي العزم من الرسل..

والقرآن يندب المسلمين في سائر الأعصار والأمصار الى التأسي بسيرة النبي(ﷺ)، والاهتداء بسنته، والاقتداء بمنهاجه، فهو الأسوة الحسنة للمؤمنين المجاهدين والقدوة الحسنة للعاملين المخلصين، قال تعالى ﴿لقَد كانَ لكم في رسولِ الله أُسوةٌ حسنةٌ لمَن كانَ يرجُو الله واليومَ الآخر وذكرَ الله كثيراً﴾ (الأحزاب، ٢١).

وفي طاعته نبتغي الهداية والرشاد ﴿قُل أطيعوا الله وأطيعُوا الرسول فان تولَّوا فانَّما عليهِ ما حُمل وعليكُم ما حُملتم وان تُطيعوه تهتدُوا وما عَلى الرسولِ إلّا البلاغُ المبينُ﴾ (النور: ٥٤).

وان سيرة النبي (ﷺ) ينبغي أن تكون حاضرة في حياة كل مؤمن في كل حين، ولا يقتصر الاحتفال به في مناسبة حولية ولا ذكرى سنوية، بل المؤمن المتصل بالقرآن الكريم يجد نفسه في التأسي بأخلاقه في كل أعماله ومعاملاته، وهو (ﷺ) يقول: (صلُّوا كما رأيتموني أصلي)[٢]، ويعلمنا مناسك الحج في حجة الوداع، واذ كان يشعر بدنو أجله، فيوصيهم ويقول لهم: (يا أيُّها الناسُ خذُوا مناسِككم، فانِّي لا أدري لعلِّي لا أحجُّ بعدَ عامي هذا)[٣].

وذلك أدنى ما يتحقق به المؤمن من واجب التأسي بالنبي (ﷺ)، فنقتفي أثره في سائر مناحي حياتنا، حتى نوافق هديه في طعامه، وشرابه، ونومه ونبهه، وحله وترحاله... الخ.

ثم انه (ﷺ) يدعونا الى الاحسان في صلاتنا كما في حديث أبي أيوب الأنصاري قال: جاء رجل الى النبي (ﷺ) فقال: عظني وأوجز فقال: (اذا قمت في صلاتك فصل

صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه غداً، واجمع الإياس مما في أيدي الناس)[٤]، والمؤمنون يستحضرون قربهم منه روحياً وهم يقولون بين يدي ختام صلاتهم فيقرأون في التشهُّد: (السلام عليك أيُّها النبي ورحمة الله وبركاته)[٥]، فيخاطبونه بخطاب الحاضر القريب.

انَّ القرآن العظيم سجل حافل بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوته الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وما عاناه فصبر عليه من ايذاء قومه ممن ضاقت صدورهم فاتسعت ألسنتهم بالفحشاء.

وقد تولى الله تعالى كفاية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أذى المشركين فقال تعالى ﴿أَليسَ الله بكافٍ عبدَه ويُخوفونكَ بالَّذين من دُونه ومن يُضللِ الله فما له من هادٍ﴾ (الزمر: ٣٦)، هو سبحانه وتعالى يسمع كل ما يقولونه وهو بكل شيء عليم قال تعالى: ﴿فان آمنُوا بمثلِ مَا آمنتُم به فقدِ اهتدوا وان تولَّوا فانَّما هم في شقاقٍ فسيكفيكهُمُ الله وهوَ السميعُ العليمُ﴾ (البقرة: ١٣٧).

ثم ضمن الله تعالى للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعصمه من الناس قال تعالى ﴿يا أيُّها الرسُولُ بلِّغ ما أُنزل اليكَ من ربِّكَ وان لم تفعل فمَا بلغتَ رسالتهُ والله يعصمك مِن الناسِ انَّ الله لا يهدي القومَ الكافرينَ﴾ (المائدة: ٦٧).

وعندما اشتد أذى المشركين ومن والاهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكثر تعرضهم له، أخذ بعض أصحابه يتناوبون على حراسته وحمايته، فلما نزل عليه الوحي بقوله تعالى ﴿والله يعصمُك من الناسِ ان الله لا يهدي القومَ الكافرينَ﴾ (المائدة: ٦٧). صرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هؤلاء الحراس من صحابته الكرام رضي الله عنهم وقال لهم بلسان الواثق من حماية الله له: ان الله قد عصمني.

وذلك كما تروي السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿والله يعصمُك منَ الناسِ﴾ فأخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأسه من القبة، فقال لهم: (يا أيها الناس انصرفوا، فقد عصمني الله)[٦].

وحقق الله تعالى ما وعده لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال ﴿انَّا كفيناكَ المُستهزئينَ﴾ (الحجر:

٩٥)، وكان رسول الله (ﷺ) يغالب ما يلقاه بذكر الله وتسبيحه وحمده كما قال تعالى في سياق الآيات نفسها من سورة الحجر ﴿ولقَد نعلمُ أنَّك يضيقُ صدرُكَ بما يقُولونُ فسبِّح بحمدِ ربِّكَ وكُن من السَّاجدينَ واعبُد ربَّك حتَّى يأتيك اليقينُ﴾ (الحجر: ٩٧ ـ ٩٩).

ولما وصف المشركون رسول الله (ﷺ) بأنه أبتر لكونه لم يخلف ابناً بعده، أنزل الله تعالى سورة الكوثر، تسلية لنبيه (ﷺ)، ووعيداً لشانئيه، فقال تعالى ﴿انَّا أعطيناكَ الكوثرَ فصلِّ لربِّكَ وانحَر انَّ شانئكَ هو الأبترُ﴾ (الكوثر: ١ ـ ٣).

وقد تحقق كل ما وعد به القرآن من أن الله تعالى كفى رسوله (ﷺ) المستهزئين، وجعل شانيئه مقطوعي الأثر على مدار التاريخ، ممحوقي البركة، مع قلة مواليدهم وانتزاع البركة من سائرهم.

وأوصى بالصلاة والسلام عليه كلما جاء ذكره في كل فقرة متصلة من آية كريمة أو حديث نبوي شريف ائتماراً بأمر الله عز وجل الذي أمرنا بذلك بعد أن أعلمنا أنه سبحانه وتعالى بدأ بنفسه وثنى بملائكته فقال: ﴿انَّ الله وملائِكتهُ يصلُّون على النَّبي يا أيُّها الذينَ أمنُوا صلُّوا عليهِ وسلمُوا تسليماً﴾ (٥٦) (الأحزاب)..

والمأثورات كثيرة في صيغ الصلاة والسلام على رسول الله ومن ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم سألوا رسول الله (ﷺ) عن كيفية الصلاة عليه فكان جوابه هذا الذي يرويه لنا كعب بن عجرة رضي الله عنه: (أن رجلا قال للنبي (ﷺ) يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا:

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد)[٧]..

ومجال الصلاة والسلام عليه فيما سوى ذلك واسع مما تعلمه المؤمن الذاكر من المأثورات أو ألهمه مما يتسق مع الهدي النبوي..

وقد أفردنا مقدمة حول مقام النبوة والرسالة بغية اقرار التوقير للأنبياء والمرسلين كافة، عليهم وعلى خاتمهم الصلاة والسلام، وذلك لما ظهر مؤخراً وبخاصة في الغرب من

اجتراء على مقامهم العظيم وبخاصة مقام نبينا الكريم، وذلك عن نقص في الايمان، اذ الايمان بالله تعالى يقتضي الايمان بمن أرسلهم مبشرين ومنذرين لهداية الناس الى صراطه المستقيم..

ومن لوازم هذا الايمان توقيرهم واجلالهم وهم في موضع الأسوة والقدوة للبشرية على مر العهود.

اللهم احشرنا في زمرةنبيك، وأوردنا حوضه فنشرب منه شربة لا نظمأ بعدها أبداً، اللهم وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، ونختم بالتسبيح بحمد ربنا ذي الجلال والاكرام ﴿سُبحانَ ربِّكَ ربِّ العزةِ عما يصفُون (١٨٠) وسلامٌ على المُرسلينَ (١٨١) والحمدُ لله ربِّ العالمينَ (١٨١)﴾ (الصافات).

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) من هو:

(أ) دعوة أبيه ابراهيم وابنه اسماعيل:

﴿واذ يرفعُ ابراهيمُ القواعدَ من البيتِ واسماعيلُ ربَّنا تقبَّل منَّا انكَ أنتَ السميعُ العليمُ (١٢٧) ربَّنا واجعلنا مُسلمين لكَ ومن ذُريتنَا أُمةً مُّسلمة لكَ وأرنا مناسكنَا وتُب علينا انَّك أنت التوابُ الرحيمُ (١٢٨) ربَّنا وابعث فيهم رسولاً منهُم يتلُو عليهم آياتكَ ويُعلمهمُ الكِتابَ والحِكمة ويزكيهِم انك أنت العزيزُ الحكيمُ (١٢٩)﴾ (البقرة:)..

(ربَّنا وابعث فيهم):

في الأمة المسلمة الموعودة من ذريتهما حيث لم يبعث منها غير محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو المجاب به دعوتهما كما قال (اني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بتأويل ذلك أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت حين وضعت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وكذلك أمهات النبيين يرين)[٨]..

(ب) بشرى أخيه عيسى:

﴿واذا قالَ عيسى ابنُ مريمَ يا بني اسرائيلَ انِّي رسولُ الله اليكُم مُّصدقاً لما بينَ يديَّ منَ التَّوراة ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمهُ أحمد فلمَّا جاءهم بالبيناتِ قالوا هـذا سحرٌ مُّبينٌ (٦)﴾ (الصف)..

واسمه أحمد يعني محمداً (ﷺ) هي فرسالة عيسى (عليه السلام) التصديق بالتوراة والتبشير بمجيء رسالة محمد الخاتمة..

أسماؤه وصفاته:

(٢) اسمه الوارد في القرآن في أربعة مواضع:

(أ) ﴿ومَا محمدٌ إلّا رسولٌ قَد خلت مِن قبلهِ الرسلُ أفان مَّات أو قُتلَ انقلبتُم على أعقابكُم ومَن ينقلِب علىَ عقبيهِ فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشَّاكِرينَ (١٤٤)﴾ (آل عمران)..

فالسنة الالهية ماضية في رسول الاسلام (ﷺ) كما هي فيما سبقه من الرسل، من حيث موته قبر يكون ذلك سبباً لارتدادهم عن الدين بعده.

(ب) ﴿مَّا كانَ محمدٌ أبا أحدٍ من رِّجالكُم ولكِن رسولَ الله وخاتمَ النَّبيين وكانَ الله بكل شيء عليماً (٤٠)﴾ (الأحزاب)..

(ج) ﴿والذينَ أمنُوا وعملُوا الصالحاتِ وآمنوا بما نُزل على مُحمدٍ وهوَ الحقُّ من ربِّهم كفَّر عنهم سيئاتهم وأصلحَ بالهُم (٢)﴾ (محمد)..

الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأمنوا بما نزل على محمد (ﷺ) سبيل لتكفير السيئات واصلاح التقوى..

(د) ﴿محمدٌ رسولُ الله والَّذين معهُ أشدَّاء على الكُفار رُحماء بينهُم تراهم رُكعاً سُجداً يبتغُون فضلاً من الله ورضواناً سيماهُم في وجوهِهم من أثرِ السجودِ ذلكَ مثلُهم في التوراة ومثلهُم في الانجيل كزرعٍ أخرجَ شطأه فآزرهُ فاستغلظ فاستوى علَى سُوقهِ يُعجبُ الزراعَ ليغيظَ بهمُ الكفارَ وعدَ الله الذين آمنوا وعملُوا الصالحاتِ منهُم مغفرةً وأجراً

عظيماً (٢٩)﴾ (الفتح)..

ذكر الحق سبحانه مثال المؤمنين الذين هم مع رسول الله (ﷺ) (في صحبته) فيمن يقابلهم من التوراة والانجيل وذلك من حيث صفاتهم وفضائلهم ومع اعتمادنا على ما في القرآن العظيم فان ما في التوراة والانجيل من اشارات يستأنس بها في موافقة القرآن الكريم..

(٣) الصفات التي صارت أسماؤه:

(أ) ﴿يا أيُّها المُزملُ (١)﴾ (المزمل)..

المتلفلف بثيابه وذلك لما أصابته من رعدة عند بدء الوحي أومن تزمل الزمل اذا تحمل الحمل وهو عبء الرسالة..

(ب) ﴿يا أيُّها المدثرُ﴾ (١) (المدثر)..

يا أيها المدثر بالدثار لما أصابته من رعدة كما سبق، أو المتدثر بالنبوة والكمالات والشمائل، أو المختفي في غار حراء..

(٤) وأما في الحديث كما في صحيح البخاري:

(لي خمسة أسماء أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب) والعاقب الذي لا نبي بعده..

بعثته (ﷺ) ورسالته:

(١) نزول الوحي عليه:

قال تعالى: ﴿اقرأ باسم ربكَ الذي خلقَ (١) خلقَ الانسانَ من علقٍ (٢) اقرأ وربكَ الأكرمُ (٣) الذي علَّم بالقلمِ (٤) علمَ الانسانَ ما لم يعلم (٥)﴾ (العلق)..

أي اقرأ القرآن مفتتحاً باسمه سبحانه وتعالى أو مستعيناً به..

(٢) الأمر له بانذار عشيرته الأقربين:

قال تعالى: ﴿وأنذر عشيرتكَ الأقربينَ (٢١٤)﴾ (الشعراء)..

الأقرب فالأقرب، وروى أنه لما نزلت صعد (ﷺ) الصفا وناداهم فخذاً فخذاً كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما نزلت: (وأنذر عشيرتك الأقربين). خرج رسول الله (ﷺ) حتى صعد الصفا، فهتف: (يا صباحاه). فقالوا: من هذا، فاجتمعوا اليه، فقال: (أرأيتم ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي). قالوا: ما جربنا عليك كذب، قال: (فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قال أبو لهب: تبا لك، ما جمعتنا إلّا لهذا، ثم قام. فنزلت: (تبت يدا أبي لهب وتب). وقد تب)[٩].

(٣) والأمر له بانذار أهل مكة ومن حولها:

قال تعالى: ﴿وكذلكَ أوحينا اليكَ قرآناً عربيّاً لتُنذر أم القرَى ومَن حولها وتُنذر يومَ الجمعِ لا ريبَ فيه فريقٌ في الجنةِ وفريقٌ في السعيرِ (٧)﴾ (الشورى)..

ثم امتد الانذار الى أهل مكة ومن حولها..

(٤)الأمر بالجهر بدعوته وتبليغها للناس:

قال تعالى: ﴿يا أيُها الرسولُ بلغ ما أُنزلَ اليكَ من ربِّكَ وان لم تفعل فمَا بلغتَ رسالتهُ واللهُ يعصمكَ من الناسِ ان الله لا يهدي القومَ الكافرينَ (٦٧)﴾ (المائدة)..

فأمره ببلاغ رسالته للناس وضمن له العصمة من الناس..

(٥) عموم رسالته وعالميتها وديمومتها:

(أ) ﴿قُل يا أيّها الناس اني رسولُ الله اليكم جميعاً الذي له مُلك السماواتِ والأرضِ لا اله إلّا هُو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسولهِ النبيِّ الأميِّ الذي يؤمن بالله وكلماتهِ واتبعوهُ لعلكم تهتدونَ (١٥٨)﴾ (الأعراف)..

وقد كان الرسل يبعثون لاقوامهم لمعالجة شؤون محدودة وبعث هو للناس أجمعين

لمعالجة شؤون الحياة بأجمعها..

(ب) ﴿وما أرسلناكَ إلّا كافةً للناسِ بشيراً ونذيراً ولكنَّ أكثر الناسِ لا يعلمونَ (٢٨)﴾ (سبأ)..

فهو بشير ونذير للناس..

(ج) ﴿تباركَ الذي نزَّل الفُرقانَ على عبدهِ ليكونَ للعالمينَ نذيراً (١)﴾ (الفرقان)..

وهو نذير للعالمين..

(٦) وقد بعث شاهداً ومبشراً ونذيراً:

﴿يا أيُّها النبيُّ انَّا أرسلناكَ شاهداً ومُبشراً ونذيراً (٤٥)﴾ (الأحزاب)..

وشاهداً: أي على أمته من حيث تصديقهم وتكذيبهم..

(٧) وهو محيي الحنيفية السمحة:

﴿قُل انَّني هداني ربِّي الى صراطٍ مستقيمٍ ديناً قيماً ملةَ ابراهيمَ حنيفاً وما كانَ منَ المشركينَ (١٦١)﴾ (الأنعام)..

وهي الفطرة السليمة والصراط المستقيم والدين القيم والتوحيد..

(٨) وقد أنزل عليه القرآن مصدقاً للكتاب ومهيمناً عليه:

﴿وأنزلنا اليكَ الكتابَ بالحقِّ مصدقاً لمَا بينَ يديهِ منَ الكتابِ ومُهيمناً عليه فاحكم بينهُم بِما أنزلَ الله ولا تتَّبع أهواءهم عمَّاً جاءكَ من الحقِّ لكلٍّ لعلنا منكُم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكُم امةً واحدةً ولكن ليبلُوكم في ما آتاكُم فاستبقوا الخيراتِ الى الله مرجعكُم جميعاً فينبئكُم بما كُنتم فيهِ تختلفُون (٤٨)﴾ (المائدة)..

ومهيمن عليه رقيب وحافظ وشاهد عليه فيزيل عنه التحريف والتبديل..

(٩) مستقبل ظهور دعوته على سائر الملل والحضارات والثقافات:

﴿يريدونَ أن يطفؤوا نورَ الله بأفواهِهِم ويأبى الله إلّا أن يتمَّ نورهُ ولو كرهَ الكافرونَ (٣٢) هو الذي أرسل رسولهُ بالهُدى ودينِ الحقِّ ليظهره على الدِّين كلهِ ولو كرهَ المشركونَ (٣٣)﴾ (التوبة)..

وهو وعد غير مكذوب حيث لا يبقى في الأرض إلّا مؤمن بهذه الرسالة الخاتمة..

(١٠) وقد أوتي الفتح الرباني والنصر العزيز:

(أ) ﴿أنَّا فتحنا لك فتحاً مبيناً (١) ليغفرَ لكَ الله ما تقدَّم من ذنبكَ وما تأخَّر ويتمَّ نعمتهُ عليكَ ويهديكَ صراطاً مستقيماً (٢) وينصركَ الله نصراً عزيزاً (٣)﴾ (الفتح)..

(ب) ﴿اذا جاء نصرُ الله والفتحُ (١)﴾ (الفتح)..

وهو فتح مكة، وما اتفق له في تلك السنة من فتح خيبر وفدك، أو هو أخبار عن صلح الحديبية الذي سماه فتحاً لأنه تحقق له بالصلح أضعاف ما تحقق له بالحرب..

منزلته بين الأنبياء:

(١) جعله الله من أولي العزم من الرسل:

(أ) ﴿شرعَ لكُم منَ الدينِ ما وصَّى به نُوحاً والذي أوحينا اليكَ وما وصينا به ابراهيمَ وموسى وعيسى أن أقيموا الدِّين ولا تتفرقُوا فيه كبُر على المُشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيبُ (١٣)﴾ (الشورى)..

وأولو العزم من الرسل هم أولو الثبات والجد والصبر على مكاره الدعوة: نوح وابراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على رأسهم..

(ب) ﴿فأصبر كمَا صبرَ أُولوا العزمِ منَ الرسلِ ولا تستعجل لهُم كانهُم يوم يرونَ ما يوعدونَ لم يلبثُوا إلّا ساعةً من نهارٍ بلاغٌ فهل يهلكُ إلّا القومُ الفاسقونَ (٣٥)﴾ (الأحقاف)..

(٢) وختم الله به الرسالات:

﴿مَّا كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكُم ولكن رَّسول الله وخاتمَ النبيِّن وكان الله بكلِّ شيء عليماً (٤٠)﴾ (الأحزاب)..

وهو آخر من نبي، ولذلك كانت رسالته أعم زماناً ومكاناً..

(٣) وأخذ الله له من النبيين ميثاق الايمان والنصرة:

﴿واذ أخذَ الله ميثاقَ النبيِّين لمَا آتيتُكم من كتابٍ وحكمةٍ ثُم جاءكُم رسولٌ مصدِّقٌ لما معكُم لتؤمننَّ به ولتنصرنهُ قالَ أأقررتُم وأخذتم على ذلكُم اصري قالوا أقررنا قالَ فاشهدوا وأنا معكُم من الشَّاهدينَ (٨١)﴾ (آل عمران)..

واذا كان هذا حكم الأنبياء كان أممهم أولى، قد استغنى بذكر الأنبياء عن أممهم وربما كان هذا الميثاق ميثاقاً روحياً مأخوذاً في عالم الأرواح ليكون الايمان والنصرة كلاهما روحياً..

(٤) نسخ رسالته للرسالات السابقة:

﴿ما نَنسخ من آيةٍ أو نُنسها نأتِ بخيرٍ منها أو مثلها ألم تعلَم ان الله علىَ كلِّ شيء قديرٌ (١٠٦)﴾ (البقرة)..

ومما قيل في النسخ أنه نسخ القرآن لما سبقه من كتب..

(٥) اختار له الله القبلة التي يرضاها:

﴿قد نرَى تقلُّب وجهكَ في السَّماء فلنولينَّك قبلةً ترضاهَا فولِّ وجهكَ شطرَ المسجدِ الحرامِ وحيثُ ما كُنتم فولُّوا وجوهكُم شطرهُ وانَّ الذين أُوتوا الكتابَ ليعلمونَ انهُ الحقُّ من ربهِم وما الله بغافلٍ عما يعملون (١٤٤)﴾ (البقرة)..

وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتطلع للوحي ليحوله الى قبلة أبيه ابراهيم (عليه السلام)، فأجابه الى ذلك..

(٦) لم يقسم الله بحياة أحد من خلقه غيره:

﴿لعمركَ انهُم لفي سكرتِهم يعمهُونَ (٧٢)﴾ (الحجر)..

وقد أقسم الحق تعالى به ليعرف الناس عظمته.

(٧) القسم بمكة وهو حل بها:

﴿لا أُقسم بهذا البلدِ (١) وأنتَ حلٌّ بهذا البلدِ (٢)﴾ (البلد)..

(٨) صلاة الله والملائكة والمؤمنين عليه:

﴿ان الله وملائِكتهُ يصلونَ علي النبيِّ يا أيُّها الذين آمنُوا صلُّوا عليه وسلِّمُوا تسليماً (٥٦)﴾ (الأحزاب)..

(٩) سعة عطاء الله له:

﴿انَّا أعطيناكَ الكوثرَ (١)﴾ (الكوثر)..

والكوثر نهر في الجنة، ونعمة كثيرة في الدنيا، هي نعمة الاسلام..

(١٠) بيعته من بيعة الله

﴿انَّ الذين يبايعُونكَ انَّما يبايعونَ الله يدُ الله فوقَ ايديهم فمَن نَّكثَ فانَّما ينكثُ على نفسهِ ومن أوفىٰ بما عاهدَ عليه الله فسيؤتيهِ أجراً عظيماً (١٠)﴾ (الفتح)..

قرن الله البيعة له بالبيعة لله تكريماً له..

(١١) اعطاؤه خاصة العفو عن أمته والاستغفار لها:

﴿فبما رحمةٍ من الله لنتَ لهُم ولو كُنت فظاً غليظ القلبِ لانفضُّوا من حولكَ فاعفُ عنهُم واستغفر لهم وشاورهُم في الأمر فاذا عزمتَ فتوكَّل على الله انَّ الله يحبُّ المُتوكلينَ (١٥٩)﴾ (آل عمران)..

فعفوه عن أُمته واستغفاره لهم من رحمته هو بهم، وكذلك مشاورتهم من تكريمه لهم..

(١٢) اعطاؤه خاصية الحكم بين الناس:

﴿انَّا أنزلنا اليكَ الكِتابَ بالحقِّ لِتحكمَ بين النَّاسِ بما أراكَ الله ولا تكُن للخائنين خصيماً (١٠٥)﴾ (النساء)..

فهو يحكم بينهم بحكم الله.

(١٣) وهو مرجعية التحاكم عند التنازع:

﴿فلا وربِّك لا يؤمنونَ حتَّى يحكموكَ فيما شجرَ بينهُم ثمَّ لا يجدُوا في أنفسهم حرجاً ممَّا قضيتَ ويسلِّموا تسليماً (٦٥)﴾ (النساء)..

ومع الاحتكام اليه لابد من التسليم بحكمه..

(١٤) تكريمه برفع العذاب عن أُمته في حضرته بالدنيا:

﴿ومَا كان الله ليُعذبهم وأنتَ فيهم ومَا كانَ الله مُعذبهم وهُم يستغفرُونَ (٣٣)﴾ (الأنفال)..

قال ابن عباس: كان فيهم أمانان، النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والاستغفار، فذهب هو وبقى الاستغفار..

(١٥) هداية الأمة بالقرآن العظيم ودعوة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم):

﴿وكيفُ تكفرونَ وأنتُم تُتلى عليكُم آياتُ الله وفيكُم رسولهُ ومن يعتصِم بالله فقد هُدي الى صراطٍ مستقيم (١٠١)﴾ (آل عمران)..

وهي اشارة الى أن الأُمة أعطيت القرآن وأعطيت مثله معه وهو سنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)..

(١٦) وهو أسوة المؤمنين الحسنة:

﴿لقَد كانَ لكُم في رسولِ الله أُسوةٌ حسنةٌ لمَن كانَ يرجُو الله واليومَ الآخر وذكرَ الله كثيراً (٢١)﴾ (الأحزاب)..

لأنه على خلق عظيم، فهو قدوتهم وهدايتهم..

(١٧) شرح صدره ورفع ذكره:

(أ) ﴿ألم نشرح لكَ صدركَ (١)﴾ (الشرح)..

أي نفسحه حتى يسع مناجاة الحق ودعوة الخلق، أو نوسعه بما أودعنا فيه من العلم وتلقي الوحي، أو بغسل جبريل صدره في صباه وملئه ايماناً وعلماً..

(ب) ﴿ورَفعنَا لكَ ذِكركَ (٤)﴾ (الشرح)..

قرنت اسمه باسمه كلمتي الشهادة، وجعل طاعته من طاعته، وصلى عليه في ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه..

الهوامش :

١ . أخرجه الامام أحمد في مسنده، من حديث عائشة رضي الله عنها.

٢ . أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر اذا كانوا في جماعة والاقامة وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال في الليلة الباردة والمطيرة، برقم ٦٠٤.

٣ . سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، برقم ٣٠١٢.

٤ . أخرجه الأمام أحمد في مسند الأنصار، من حديث أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ

٥ . أخرجه الشيخان: البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب التشهد في الآخرة، برقم ٧٩٧. ومسلم، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٣.

٦ . سنن الترمذي، أبواب في تفسير القرآن، تفسير سورة المائدة، برقم ٥٠٣٧.

٧ . مسند الامام أحمد. الاصدار ٢٠٢، المجلد الرابع: أول مسند الكوفيين. حديث كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه.

٨ . زيادة الجامع الصغير للسيوطي، حديث رقم ١٧٨٥..

٩ . صحيح البخاري، باب: تفسير سورة: (تبت يدا أبي لهب). (المسد). حديث رقم: ٤٦٧٨.